أحقا كوكب الأرض إلى فناء؟

بقلم :

د. م. نادر رياض

إن العد التنازلى لوجود الانسان على هذا الكوكب قد بدأ مع انقراض اول كائن عليه.. وذلك باعتبار ان غياب اى كائن مهما صغر حجمه او كبر يخل بسلسلة من التوازنات تحتاجها البيئة لكى تبقى سليمة وقوية. فإذا كان الامر كذلك فلا بد ان هذا العد التنازلى لبقاء الانسان على الارض قد وصل اليوم مداه بل تعداه وقد يفاجئنا احد الباحثين يوما بأن احد اسباب انقراض الهنود الحمر يرجع لإسرافهم المطلق فى قتل البقر الوحشى حيث كانوا يقودون قطعانه لتسقط من اعالى الجبال كوسيلة سهلة للصيد الامر الذى اخل بتوازن الطبيعة.. منذ ذلك الحين فإن الامر لم يقتصر عندهذا الحد بل تعداه إلى ان اصبحت افيال اليوم على وشك الفناء بسبب انيابها بينما قضى على الماموث ابى الافيال لأسباب لاتتعلق بالانياب وان كان بالقطع بفعل الانسان، وبهذا تعددت الاسباب والموت واحد.

ولو عدنا لمرحلة بدء الخليقة، يوم أسلمتنا امنا حواء لامنا الطبيعة لترعانا من بعدها، فقد كانت لنا نعم الام بدليل طبيعة الانسان الهشة التى لاتسمح لابن الانسان الوليد ان يحيا بذاته اذ عليه ان يعتمد على غيره لسنوات فى توفير اسباب الحياة والا هلك، على عكس جميع الكائنات الاخرى من الحيوانات والاسماك والحشرات التى تستطيع الاعتماد على نفسها بعد ساعات من وجودها.

ويبقى شاهدا على عقوق الانسان تجاه امه الطبيعة ما يسببه الانسان من كوارث كإبادة غيره من الكائنات، واقتلاع الغابات وإفنائها وتلويث مصادر المياه، وظهور مرض جنون البقر وانفلونزا الطيور وانفلونزا الخنازير والطاعون نتيجة لعبث الانسان بالطبيعة، والقضاء على الحياة داخل الانهار بل امتد ذلك لتلوث الطعام والهواء حتى طبقات الجو العليا جأرت ليس من هول ما تراه فقط ، بل من هول ما اصابها ايضا.

اما نحن فى مصر نقع فى مدخل القارة الافريقية عند نهاية رحلة نهر النيل العظيم، تلك الرحلةالتى امتدت الالاف الاميال يعبر خلالها عشرات الدول فيصل الينا وقد أصابه ما أصابه من الاعياء والاجهاد بفعل الطبيعة والبشر، ومصر التى ظلت على مر العصور هبة النيل، كما وصفها هيرودوت قديما، سعت لإصلاح هذا النهر العظيم مما اصابه فى نطاق ما تملك من إمكانيات، فأقامت سد اسوان والسد العالى من بعده ليكون اكبر بحيرة صناعية عرفها العالم حفاظا على الماء من الإهدار، كما تتبنى مصر على مراحل مشروعا لغسيل مجرى نهر النيل بامتداده داخل اراضيها،

ولكن هل يكفى هذا لإصلاح ما افسده الزمن والانسان ايضا؟

واذا كان عذر مصر ودول العالم الثالث ضعف الامكانيات المادية فماذا يكون عذر المجتمع الاوربى فى تلوث انهاره حتى ان نهرا عظيما مثل نهر الراين قد بلغ من التلوث مداه بحيث لم تحيا به سمكة واحدة منذ عشر سنوات !!

وعودة لمصر نجد ان الصناعة لديها قد استجابت بصورة جيدة للاتجاهات الأخذة بأسباب الجودة الشاملة وتبنى تشجيع الصناعة المصرية على التأهيل واستيفاء مجموعة مواصفات ايزو ١٤٠٠٠/٩٠٠٠ وهو اتجاه آخذ فى النمو بصورة مؤثرة، ونشاط حماية البيئة الذى بدأ أعماله منذ الستينيات أثمر عن انشاء جهاز حماية البيئة التابع لمجلس الوزراء وتوج بوزارة الدولة لشئون البيئة والذى كان مردودها المؤثر فى العشرة الأعوام الماضية انتشار الجمعيات الاهلية لحماية البيئة فى مختلف المجالات الصناعية والزراعية والمهنية وايضا المجارى الملاحية والنهرية والبحرية والمحميات الطبيعية . الا ان هذه الكيانات على تشعبها واتساع رقعتها لا تشكل بوضعها الحالى الشرط اللازم والكافى لحماية البيئة وتوجيهات فى اتجاه صاعد نحو بيئة نظيفة فى زمن قابل للتحديد وذلك بسبب غياب الآلية والإمكانات القادرة على الالزام مع توفير الادوات اللازمة للحد من التلوث فى خط متوازن .

بقلم د.م: نادر رياض

أحقاً كوكب الأرض إلى فناء؟

إن العد التنازلي لوجود الإنسان على هذا الكوكب قد بدأ مع انقراض أول كائن عليه...

وذلك باعتبار أن غياب أي كائن مهما صغر حجمه أو كبر يخل بسلسلة من التوازنات تحتاجها البيئة لكي تبقى سليمة وقوية. فإذا كان الأمر كذلك فلابد أن هذا العد التنازلي لبقاء الإنسان على الأرض قد وصل اليوم مداه بل تعداه وقد يفاجئنا أحد الباحثين يوماً بأن أحد أسباب انقراض الهنود الحمر يرجع لإسرافهم المطلق في قتل البقر الوحشي حيث كانوا يقودون قطعانه لتسقط من أعالي الجبال كوسيلة سهلة للصيد الأمر الذي أخل بتوازن الطبيعة... منذ ذلك الحين فإن الأمر لم يقتصر عند هذا الحد بل تعداه إلى أن أصبحت أفيال اليوم على وشك الفناء بسبب أنيابها بينما قضى على الماموث أبو الأفيال لأسباب لا تتعلق بالأنياب وإن كان بالقطع يفعل الإنسان، وبهذا تعددت الأسباب والموت واحد.

ولو عدنا لمرحلة بدء الخليقة، يوم أسلمتنا أمنا حواء لأمنا الطبيعة لترعانا من بعدها، فقد كانت لنا نعم الأم بدليل أن طبيعة الإنسان الهشة التي لا تسمح لابن الإنسان الوليد أن يحيا بذاته إذ عليه أن يعتمد على غيره لسنوات في توفير أسباب الحياة وإلا هلك، على عكس جميع الكائنات الأخرى من الحيوانات والأسماك والحشرات التي تستطيع الاعتماد على نفسها بعد ساعات من وجودها.

ويبقى شاهداً على عقوق الإنسان تجاه أمه الطبيعة ما يسببه الإنسان من كوارث كإبادة غيره من الكائنات، واقتلاع الغابات وإفنائها وتلويث مصادر المياه، وظهور مرض جنون البقر وأنفلونزا الطيور وأنفلونزا الخنازير والطاعون نتيجة لعبث الإنسان بالطبيعة، والقضاء على الحياة داخل الأنهار بل امتد ذلك لتلوث الطعام والهواء حتى طبقات الجو العليا جارت ليس من هول ما تراه فقط، بل من هول ما أصابها أيضاً.

أما نحن في مصر نقع في مدخل القارة الإفريقية عند نهاية رحلة نهر النيل العظيم، تلك الرحلة التي امتدت لآلاف الأميال يعبر خلالها عشرات الدول فيصل إلينا وقد أصابه ما أصابه من الإعياء الإجهاد بفعل الطبيعة والبشر. ومصر التي ظلت على مر العصور هبة النيل، كما وصفها هيرودوت قديماً، سعت لإصلاح هذا النهر العظيم مما أصابه في نطاق ما تملك من إمكانيات، فأقامت سد أسوان والسد العالي من بعده ليكون أكبر بحيرة صناعية عرفها العالم حفاظاً على الماء من الإهدار، كما تتبنى مصر على مراحل مشروعاً لغسيل مجرى نهر النيل باستدادة داخل أراضيها.

ولكن هل يكفي هذا لإصلاح ما أفسده الزمن والإنسان أيضاً؟

وإذا كان عذر مصر ودول العالم الثالث ضعف الإمكانيات المادية فماذا يكون عذر المجتمع الأوروبي في تلوث أنهاره حتى أن نهراً عظيماً مثل نهر الراين قد بلغ من التلوث مداه بحيث لم تحي به سمكة واحدة منذ عشر سنوات !!

وإن كان مستقبل دول العالم الثالث هو أن تتحول إلى دول ذات إسهامات فعالة في الحركة الاقتصادية والصناعية العالمية فإن هذا يعني ببساطة أن تصبح دولاً منتجة للطاقة والتكنولوجيا ووسائل الإنتاج بعد أن كانت مستهلكة لها، أي أن التحول للإنتاج بعد مرحلة الاستهلاك من جانب دول العالم الثالث يعد عملية تتم لصالح الحل العالمي قبل أن تكون لصالح الحل المحلي لتلك الدول ومن ثم فإن عملية التحول هذه والتي يجب أن تتم في إطار الحفاظ على البيئة هي حل له تكلفته الباهظة، إذ إن التحول العشوائي من شأنه أن يؤدي إلى كوارث بيئية يصعب احتواؤها بعد ذلك، لذا يجب أن تحظى عمليات التحول هذه بإسهامات الدول الصناعية المتقدمة خاصة وقد تبين مدى حاجة الدول الصناعية لدول العالم الثالث كشركاء في الحركة الصناعية العالمية خاصة الدول كثيفة العمالة والتي لم يعد ينظر لها باعتبارها دولاً مستهلكة تصدر إليها المنتجات فقط.

وعودة لمصر نجد أن الصناعة لديها قد استجابت بصورة جيدة للاتجاهات الآخذة بأسباب الجودة الشاملة وتبني تشجيع الصناعة المصرية على التأهيل واستيفاء مجموعة مواصفات أيزو 9000/14000 وهو اتجاه آخذ في النمو بصورة مؤثرة، ونشاط حماية البيئة الذي بدأ أعماله منذ الستينات أثمر عن إنشاء جهاز حماية البيئة التابع لمجلس الوزراء وتوج بوزارة الدولة لشئون البيئة والذي كان مردودها المؤثر في العشرة أعوام الماضية انتشار الجمعيات الأهلية لحماية البيئة في مختلف المجالات الصناعية والزراعية والمهنية وأيضا المجاري الملاحية والنهرية والبحرية والمحميات الطبيعية.إلا أن هذه الكيانات على تشعبها واتساع رقعتها لا تشكل بوضعها الحالي الشرط اللازم والكافي لحماية البيئة وتوجيهها في اتجاه صاعد نحو بيئة نظيفة في زمن قابل للتحديد وذلك بسبب غياب الآلية والإمكانات القادرة على الإلزام مع توفير الأدوات اللازمة للحد من التلوث في خط متوازن فالأمر ليس بخاف على أحد في أن أولويات قضية الإنتاج تتركز في خفض تكلفة الإنتاج والحفاظ على الأسواق، والإخلال بهذه المعادلة سواء برفع تكلفة الإنتاج أو انكماش حجم الأسواق يهدد قضية الصناعة من أساسها مما يخرج المشكلة من حيز الصناعة الإقليمية ويجعل منها قضية دولية تدخل ضمن إطار الحل العالمي وبذلك فإننا نجد أنفسنا في موقف عود لذي بدء.

ويبقى أخيراً..

إننا جميعاً مسئولون عن جودة الحياة على هذه الأرض دون تفرقة إذ إن كل ما يمكن أن يحقق من كسب لن يجد ما يشتريه إذا فسدت الحياة على هذه الأرض.

نحن جميعا نحتاج إلى الطبيعة بينما الطبيعة لا تحتاج إلى أحد منا.

www.naderriad.com

جريدة العالم اليوم (صفحة ١٥ - ٢٠٠٩/٩/٣)
العالم اليوم